الاختلاف التفسيري لتحديد الهُوية في النص القرآني ـ قراءة تحليلية من منظور الإمام العسكري عليه السلام

The Explorative difference of identity in the Quranic Text: Analytical reading from the Perspective of Imam Alaskari (Peace be upon him)

أ.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي

جامعة الكوفة

كلية التربية

قسم اللغة العربية

Prof.Dr. Sirwan Abd Al-Zahra AL-janabi

University Of Kufa

Faculty of Education

Department of Arabic

الاختلاف التفسيري لتحديد الهُوية في النص القرآني ـ قراءة تحليلية من منظور الإمام العسكري عليه السلام

الملخص:

لما كان للإمام العسكري عليه السلام جملةٌ من الإسهامات الفاعلة في حل الإشكالات التفسيرية أو الاختلاف الدلالي في تحديد هوية الموضوع داخل النص القرآني؛ تأسَّسَ هذا الجهد البحثي على قراءة تلك الإسهامات قراءة علمية واعية، و جاءت طبيعة القراءة مؤسَّسةً على فرضيتين:

الأولى: رصد المرويات التفسيرية التي أسهم بها الإمام العسكري عليه السلام في حلّ الإشكالات التفسيرية التي وقع بها المتلقي و هو في صدد تحديده لهُوية موضوع معين من النص القرآني، والعمل على قراءة تلك المرويات قراءةً مُعمَّقَةً و بطريقة تحليلية مفصَّلة؛ للوقوف على إبداعات الإمام في الفهم السديد للنص بدون زلل أو خلل.

الثانية: التقصِّي عن المنطلقات التفسيرية التي وظَّفها الإمام في إزاحة هذه الإشكالات عن النص القرآني وصولاً إلى الدلالة المثلى له؛ إذ إنَّ رواية الإمام التي منحت المعنى الصحيح للنص لابدَّ من أنْ تكونَ مؤسَّسة على منطلقات تفسيرية خاصة في فهم ذلك النص؛ لذا كان من الواجب التعرُّف على هذه المنطلقات؛ لأنها تعد المسار الأصح لفهم النص القرآني عموماً؛ تجنباً من الوقوع في الخطأ.

الكلمات المفتاحية:

التفسير، القرآن الكريم، هوية هاروت وماروت، مرويات الإمام العسكري عليه السلام.

The Explorative difference of identity in the Quranic Text: Analytical reading from the Perspective of Imam Alaskari (Peace be upon him)

Abstract:

The Imam Alaskari (peace be upon him) has a number of active contributions in solving the forms of interpretation or semantic difference in identifying the identity of the subject within the Quranic text. This paper is established and takes a lot of effort basing on readings of contributions in aware and scientific reading. This comes and establishes on two hypothesizes.

The first is to monitor the explanatory romances which contributed by Imam Alaskari (peace be upon him) in solving the interpretative troubles in which the recipient signed, and he is in the process of determining the identity of a specific subject of the Quranic text. There is a work on reading these romances deeply and analyzes every detail of the way to find out about the Imam's creativity in directing the text without any defect or deficiency.

The second is to trace of explorative cases particularly functioning by the Imam to move these troubles from the Quranic text to get the perfect meaning. The Imam's romance has been showing the right meaning of the text. This must establish on particular explorative cases in understanding that text so it is compulsory to identify on them. This is because that explorative cases are right for understanding the Quranic text generally and to be far from the error.

key words: Explanation, The Holy Quran, Imam Al-Askari's (peace be upon him) romances, The identity of Harut and Marut.

توطئة:

إذا كان التعبير القرآني يمثلُ لغة السماء المعجزة التي تدانى العقل البشري دونها ولَـمْلَمَ نفسَهُ مُتخاذلاً ومُقرِّاً بفقدان قدرته على أنْ يأتيَ بمثلها البتة؛ فإنَّ هذا يقتضي أنْ يكونَ ذلك التعبير قد صيغ بأرفع الأساليب وأرقى الصياغات التي تؤهِّلُهُ ليكون منطق الإعجاز الأمثل على مرِّ الدهور ومختلف الأزمنة والأوقات، وبناءً عليه يمكن التأسيس بأنَّ هذا المنطق السماوي لا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوالِ أنْ يندَّ عن مسار الإعجاز مطلقاً؛ ولما كانت الحال هذه وَجَبَ القول بأنَّ أيَّ تناقضٍ في فهم الدلالة القرآنية أو اختلاف في تحديد الهوُية المضمونية لموضوع معين إنما مردُّهُ إلى فهم المتلقي وعدم قدرته على إدراك المراد الحقيقي لمدلول النص أو تشخيص الهُوية الصحيحة للموضوع الـمُخْتَلَفِ في تحديد هويّته داخل النص؛ وعليه فإنَّه ليس ثمة تناقضٌ في النص ذاته أو تباينٌ فيه داخله البتة؛ ذلك بأنَّ التعبير القرآني لا تقع فيه أية سمة لمثل هذه الموارد أبداً؛ لأنَّه نص معجز بلفظ ومعناه، ولما كانت اللغة العالية أجلى وجوه إعجازه وجب - من هنا- الإقرار بعدم وقوع أي إشكال مضموني فيه؛ ولكن لما كان فهم النص السماوي فهماً بشرياً، وكان من جنس طبيعة البشر الوقوع في الخطأ، ظُنَّ من هنا بأنَّ ثمة إشكالات يمكن أن تجري في النص الكريم.

وفي حقيقة الأمر أنَّ ذلكَ الإشكالَ عائدٌ إلى عقلِ الـمُشكِلِ لا إلى النص المظنون فيه الإشكال، حيث لا إشكال في النص البتة؛ من هنا كان حرياً بأنْ ينبري من هو مُكلَّف ببيان الكتاب الكريم ليصحح المسار الفهمي لتلك النصوص القرآنية، ويُعيدَ الدلالة إلى نصابها والمعنى إلى مساره الأصل؛ لئلا يندَّ الفهمُ إلى أبعد من ذلك، فيُدخلَ المفسرَ أو فاهمَ النصِّ في نطاق التَّعدِّي عن مضمون النص أو التَّعدِّي عن ثوابت النص أحياناً أخر، ولما كان أئمة أهل البيتعليهم السلام هم الـمُكلَّفين ببيان النص المعجز امتداداً لتكليف جدّهم الأعظم الرسول الكريمصلى الله عليه وآله[1]، وذلك تحديداً في قوله تعالى ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾[2]، وقوله أيضاً ﴿**وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[3]؛ من هنا تحتم عليهم بيان الدلالة الأصح للنص وتعديل الفهم غير السديد له؛ ذلك بأنَّ المفسر قد يشطُّ بعيداً فينأى في بيانه لمضمون نصٍّ قرآنيٍّ ما أو تحديد هوية

(١) إذ جرى تكليف الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله بتفسير النص القرآني وحتمية بيان دلالاته في قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة النحل: ٤٤، وفي قوله كذلك: ﴿كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، سورة البقرة: ١٥١.

(٢) سورة النحل: ٤٣.

(٣) سورة آل عمران: ٧، وذلك بناءً على أنَّ دلالة (الواو) في الآية الكريمة عاطفة مشركة في حكم العلم بالكتاب.

الموضوع فيه؛ ما يُفضي إلى أن ينتهي إلى معنى لا يبتغيه النص أو هُوية موضوعية قد تتقاطعُ مع مضامين نصوص قرآنية أخر؛ ومن أجل الحد من تنامي هذه التصورات كلها سعى الأئمة عليهم السلام سعياً جاداً وواقعياً وفعالاً لإنهاء هذه المسارات غير السديدة؛ فكان لهم عليهم السلام بذلك الأثر الأكبر في تصحيح هذه الاتجاهات التفسيرية المغلوطة وإعطاء البديل المضموني عنها؛ ولما كان للإمام العسكري عليه السلام جملةٌ من هذه الإسهامات الفاعلة؛ تأسَّسَ هذا الجهد البحثي على قراءة تلك الإسهامات قراءة علمية واعية، وعليه كانت تلك القراءة مؤسسةً على فرضيتين:

الأولى: رصد المرويات التفسيرية التي أسهم بها الإمام العسكري عليه السلام في حل الإشكالات التفسيرية التي وقع فيها المتلقي وهو في صدد تحديده لهُوية موضوع معين من النص القرآني، والعمل على قراءة تلك المرويات قراءةً مُعمَّقَةً وبحيثية تحليلية مفصلة للوقوف على إبداعات الإمام في توجيهه النص إلى الفهم السديد دون زلل أو خلل.

الثانية: التقصِّي عن المنطلقات التفسيرية التي وظَّفها الإمام في إزاحة هذه الإشكالات عن النص الكريم وصولاً به إلى الدلالة المثلى له، إذ إنَّ رواية الإمام التي منحت المعنى الصحيح للنص لابدَّ من أنْ تكونَ مؤسسة على منطلقات تفسيرية خاصة في فهم ذلك النص؛ لذا كان من الواجب التعرُّف إلى هذه المنطلقات؛ لأنها تعد المسار الأصح على وجه الإطلاق لفهم النص القرآني عموماً تجنباً من الوقوع في الخطأ.

المبحث الأول:

الاختلاف التفسيري في تحديد هُوية البسملة

لقد وقعَ الخلاف بين علماء التفسير واتسع الاختلاف بين المذاهب في تحديد الهُوية الانتمائية في قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾[(١)] أهي تعدُّ آية بحد ذاتها، أم أنَّها جزءٌ من آية، أم أنَّها فاصلةٌ لفظيةٌ فحسب تردُ من أجل معرفة نهاية سور قرآنية وبداية أخر لا أكثر من ذلك ولا أقل[(٢)]؟ «فقيل: إنها ليست من القرآن أصلاً، وهو قول ابن مسعود... ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها»[(٣)]، وذهب آخرون إلى «أنَّها آية فذة من القرآن أُنزِلَتْ للفصل والتبرك بها، وهو الصحيح من مذهب الحنفية»[(٤)]، على حين مال آخرُ إلى أنها «آية تامة من كل سورة صدرت بها، وهو قول ابن عباس... وقيل: إنَّها آية من الفاتحة... وقيل: بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي، وقيل إنها بعض آية في الكل»[(٥)]؛ من هنا نجد أن مساحة الخلاف واسعة النطاق في تحديد هوية البسملة أهي منتمية إلى متن النص القرآني أم

(١) سورة الفاتحة: ١.

(٢) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٢٣.

(٣) أبو السعود، ابن طاووس، ج١، ص٨.

(٤) م.ن، ج١، ص٨.

(٥) م.ن، ج١، ص٨.

لا[1].

نقولُ: لقد حسم الإمام العسكري(عليه السلام) هذا الخلاف أو الاختلاف في تحديد هُوية انتماء البسملة إلى النص القرآني من عدمها، وذلك في مقولته التي نقلها عن أمير المؤمنين(عليهما السلام)؛ إذ «قال: قال أمير المؤمنين(عليه السلام): إنَّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[2]».

بهذا نجد أنَّ البسملة آية تامة مستقلة تمثل جزءاً من المتن القرآني بناءً على مقولة الإمام العسكري(عليه السلام) المسندة إلى الإمام أمير المؤمنين، والذي يوثِّقُ صحة مقولة الإمام في أنَّ البسملة تُعَدُّ آية من النص القرآني وأنها ليست بجزء آية أو أنها مجرد فاصلة بين السورة؛ جملة أدلة هي:

١- إنَّ الصلاة التي نؤديها فريضةً في كل يوم إذا ما تجرَّدت من البسملة تعد قاصرة في الأداء، فلما كانت البسملة واجبة الذكر عند بداية كلِّ سورةٍ عُلِمَ من هنا أنَّ لها مكانة حقيقية في نصية خطاب تلك السورة.

٢- إنَّ تجرد صدارة سورة براءة من البسملة ليدلُّ دلالة قاطعة على أنَّ السياق الذي ابتدأت فيه السورة يتنافى وذكر الرحمة في بدايتها؛ لأنَّ السورة بدأت بقوله تعالى ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3]؛ ولهذا رُفِعَت البسملة من صدارتها؛ لأنَّ البراءة من الكافرين لا تنسجم وذكر الرحمة لهم، ولو صحَّ معتقد مَنْ يرى أن البسملة ليست جزءاً من السورة وأنَّها مجرَّد فاصلة تُعرَفُ بها نهاية سورة من بداية أخرى لوجب أنْ تُذكرَ البسملةُ في بداية سورة براءة حتّى يُعرَفَ أنَّ هذه بداية سورة أخرى، فلما رُفِعَتْ البسملة من سورة براءة؛ عُلِمَ من هنا أنَّها ليست مجرد فاصلة فحسب؛ بل هي نصٌّ انتمائيٌّ يرتبطُ مع كلِ سورةٍ ارتباطاً خطابياً حقيقياً، ولتحقق الحقيقية في انتمائه لآيات السور حُذِفَ من بداية سورة التوبة لعدم حاجة المحور الدلالي لآية ذكر الرحمة؛ إذ ينتفي الشيء بانتفاء موضوعه؛ وبهذا يثبتُ لدينا أنَّ مقولة (البسملة) تمثُل آية من آيات النص القرآني لا محالة، وأنَّها تنطوي على سمة الإعجاز الصرفي، وذلك في نطاق تغاير الصفتين ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

٣- إنَّ البسملة مفتاح إنجاز كلِّ عمل ومنفذ لتسهيل كل عسير، فـ «إذا أراد الإنسان أنْ ينجزَ عملاً فعليه بالاستعانة بالبسملة في قضائه؛ إذ يكملُ العملُ ببركة بسم الله الرحمن الرحيم»[4]، ويسند هذا روايتان مأثورتان عن الإمام العسكري نفسه (عليه السلام)، وهما مرفوعتان إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ إذ يقول: «كل أمر ذي بال لم

(١) ينظر: النجادي وشعبان، الإيمان في فكر أهل البيت(عليهم السلام)، ص٢٩٦.

(٢) المجلسي (ت١١١١هـ): بحار الأنوار، ج٨٢، ص٤٨، وينظر: الصدوق (ت٣٨١هـ)، ص٢٤١، والحر العاملي (ت١١٠٤هـ): وسائل الشيعة (آل البيت)، ج٦، ص٥٩.

(٣) سورة براءة: ١.

(٤) ينظر: النجادي وكاظم، ص٢٩٦، أبحاث في فكر أئمة أهل البيت(عليهم السلام): ص٢٩٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

يذكر فيه بسم الله فهو أبتر»[١]، فنجد أنَّ وصف الأمر بأنه أبتر - ناقص- يدل دلالة واضحة على أهمية البسملة وأثرها في حياة الإنسان عموماً حتى أنه ليتيسرَ بها الحالُ وتنفكَ بها العقدُ ويسهلَ بها المآلُ، وعليه فلا يمكن بأي حال من الأحوال أنْ نخرجَ البسملة من متن النص القرآني إذا كان لها هذا الأثر العظيم في تسيير الأعمال وانقضاء الأحوال والتخليص من الصعب الكؤود؛ لأن البسملة لا بد من أن تنطوي على سر كبير يدعو إلى فتح باب الانفراج في الأعمال، وهذا يدعو بما لا يقبل الشك إلى القول بأنها جزء من النص القرآني لا محالة؛ ولأهميتها وعظيم أجرها وكبير أثرها جعلَها سبحانه آية في كل سورة؛ إذ لا يوجد أثر لكلام بهذا المضمون وبهذا الوجود الـمُتَلَمَّسِ في الحياة على أرض الواقع إلا ويجب أنْ يكونَ ذلك الكلام من القرآن العظيم المعجز بلفظه ومعناه على مرِّ العصور؛ فالعقل والواقع المعيش يُثبتان ـ بما لايقبل الشك ـ صحة مقولة الإمام بأنّ البسملة جزء من المتن القرآني؛ بل لابد من أن تكون كذلك لما لها من عظيم الأثر في حياة الإنسان عموماً. أما المقولة الروائية الأخرى التي أُثِرَتْ عن الإمام العسكري عليه السلام رفعاً للرسول الأكرم؛ فهي قول الرسول: «إذا قال العبد: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله جل جلاله: بدأ عبدي باسمي، وحق عليَّ أنْ أتمم له أموره وأبارك له في أحواله»[٢]، فنلحظ أنَّ دلالة هذه المقولة الكريمة لا تخرج عن المدار المضموني للرواية الأولى ابتداءً؛ بل هي تعضيدٌ لها وتوثيقٌ لمصداقيتها وأحقيتها في الحياة.

ويزاد على هذا أنَّ ما يمكن الاستدلال به إثباتاً لصحة رواية الإمام العسكري في أن البسملة جزء من المتن القرآني هو أن الناظر إلى البسملة نفسها يجدها تنتمي إلى الكلام المعجز الذي يوافق منطوق القرآن الكريم ونظمه؛ إذ نجد أن فيها ملمحاً إعجازياً في كيفية استعمال صفتي ﴿**الرحمن والرحيم**﴾؛ لأننا إذا نظرنا إلى قوله تعالى ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ فإنَّ أكثر ما يشدُّ انتباهَنا إليه فيها هو وجود تغاير البنيتين في الصفتين المتواليتين ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾، فـ ﴿**الرَّحْمنِ**﴾ هي صفة مشبهة لله تعالى تدل على امتلاء الصفة بالموصوف؛ لأنَّها وردت على صيغة (فعلان) كما أنَّها تفيد معنى الطروء وعدم الثبات مثل ريان جوعان عطشان ونظائرها[٣]، فاللهُ تعالى ممتلئ بصفة الرحمة؛ بيد أنَّ هذه الرحمة قد وردت على صيغة (فعلان) وهذه الصيغة لا تدل على ثبات الصفة في الموصوف؛ ولهذا أدرك المفسرون هذه المزية في الصيغة لذلك قالوا إنَّ لفظة ﴿**الرَّحْمنِ**﴾ تدل على رحمته تعالى في الدنيا؛ لأنَّ رحمته في الدنيا

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج٧٣، ص٣٠٥.

(٢) الصدوق: الامالي، ص٢٣٩، وينظر: المجلسي: بحار الأنوار، ج٨٢، ص٦٠، الطبرسي (ت١٣٢٠هـ): مستدرك الوسائل، ج٤، ص٢٢٨.

(٣) سيبويه (ت ١٨٠هـ): الكتاب، ج٤، ص٢٣، وينظر: السامرائي: معاني الأبنية في العربية، ص٨٠.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

واسعة وممتلئة تشمل جميع العباد مَنْ يستحقها ومَنْ لا يستحقها[١]، وتأسيساً على هذا الملحظ كانت صيغة فعلان ﴿**الرَّحْمنِ**﴾ أشد مبالغة من فعيل ﴿**الرَّحِيمِ**﴾؛ لأنَّ هذه الأخيرة مختصة بالدار الآخرة فحسب ولفئة معينة فقط؛ يقول الزمخشري: «وفي ﴿**الرَّحْمنِ**﴾ من المبالغة ما ليس في ﴿**الرَّحِيمِ**﴾»[٢] فـ «الرحيم مبالغة لعدوله وأنَّ الرحمن أشد مبالغة؛ لأنَّه أشد عدولاً وإذا كان العدول على المبالغة كلما كان أشد عدولاً كان أشد مبالغة»[٣].

من هنا نفهمُ علة ورود صفة الرحمة ابتداءً على صيغة فعلان؛ ذلك بأنَّ هذه الصفة غير مستمرة لأنَّ الكافر لا يرحمه الله تعالى يوم القيامة؛ لذا كانت هذه الرحمة مرهونة في الدنيا فحسب فهي رحمة وقتية؛ بهذا حقَّقَتْ لنا صيغة فعلان معنيين: **الأول**: إنَّ الرحمة شاملة للكافر والمؤمن معاً في الدنيا؛ لأنَّ رحمته سبحانه وسعت كل شيء. **والثاني**: هو أنَّ هذه الرحمة وقتية، فهي طارئة معهودة في دار الدنيا فحسب[٤].

وهنا لربَّ سائلٍ يسألُ فيقول: أليس رحمة الله ثابتة فيه دائمة؟!، نقولُ إنَّ رحمة الله تعالى دائمة ومستمرة، ولهذا عبر سبحانه عن رحمته ثانية بلفظة ﴿**الرَّحِيمِ**﴾ التي تفيد ثبات الصفة ودوامها؛ ولهذا قال المفسرون: إنَّ هذه الرحمة هي في الآخرة فحسب؛ ذلك بأنَّ الكافر لا تناله رحمة الله تعالى في تلك الدار لأنَّه لا يستحقها؛ من هنا كانت صيغة (فعيل) في قوله ﴿**الرَّحِيمِ**﴾ تدل على الصفة الثابتة لرحمته سبحانه التي يشمل بها المؤمنين فقط؛ فهُم من يستحقون الرحمة الدائمة يوم القيامة، وبهذا جمع سبحانه المعنيين معاً في قوله ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾؛ لأنَّ «صيغة (فعلان) تفيد الحدوث والتجدد وصيغة (فعيل) تفيد الثبوت، فجمع الله لذاته الوصفين؛ إذ لو اقتصر على (رحمن) لظن ظانٌّ أنَّ هذه الصفة طارئة قد تزول كعطشان وريان، ولو اقتصر على (رحيم) لظن أنَّ هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها؛ إذ

---

(١) ينظر: مغنية (ت١٤٠٠هـ)، الكاشف، ج١، ص٢٥، والطوسي (ت ٤٦٠ هـ): التبيان في تفسير القرآن، ج١، ص٢٩، والطبرسي (ت٥٤٨هـ)، الاحتجاج، ج١، ص٥٤، الكاشاني (ت١٠٩١هـ): الصافي في تفسير كلام الله، ج١، ص٨٢.

(٢) الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل، ج١، ص٤٩، وقد علل صاحب (بدائع الفوائد) داعي المبالغة في صيغة (فعلان) بعقلية صرفية غاية في الروعة والإبداع؛ حيث يقول: «إنَّ ﴿الرحمن﴾ من أبنية المبالغة كغضبان ونحوه، وإنما دخله معنى المبالغة من حيث كان في آخره ألف ونون كالتثنية، فإنَّ التثنية في الحقيقة تضعيف، وكذلك هذه الصفة فكأنَّ غضبان وسكران كامل لضعفين من الغضب والسكر فكان اللفظ مضارعاً للفظ التثنية؛ لأنَّ التثنية ضعفان في الحقيقة» ينظر: ابن القيم الجوزية: محمد ابن أبي بكر أيوب: بدائع الفوائد، ج١، ص٢٧.

(٣) العسكري (ت٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، ص٢٥١.

(٤) ينظر: سيروان، التحليل الدلالي لسورة المائدة، مجموعة محاضرات ألقاها الدكتور سيروان الجنابي على طلبة المرحلة الرابعة لقسم اللغة العربية من كلية الآداب/ جامعة الكوفة للعام الدراسي ٢٠٠٧ وحتى ٢٠١٣م: ص٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

أ.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي

قد تمرُّ علىٰ الكريم أوقات لا يكرم فيها، وقد تمرُّ علىٰ الرحيم أوقات كذلك»[١]؛ من هنا أفاد «الوصفان في البسملة أنَّ ﴿فعلان﴾ مبالغة في كثرة الشيء ولا يلزم منه الدوام كـ ﴿غضبان﴾، و﴿فعيل﴾ لدوام الوصف كـ ﴿ظريف﴾ فكأنَّه قال الكثير الرحمة الدائمها»[٢]؛ فـ «جمع بينهما حتىٰ يعلم العبد أن صفته الدائمة هي الرحمة، وأن رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع حتىٰ لا يستبد الوهمُ بأنَّ رحمته تعرض ثم تنقطع»[٣] فرحمته سبحانه تكون في الدنيا للمؤمن والكافر معاً وهذه الرحمة مؤقتة، أما في الآخرة فإنَّ أصالة عدالته تقتضي أنْ لا يرحم إلا المؤمن، فهو من ينالُ رحمته الدائمة فحسب فيُقصىٰ الكافر في الدار الآخرة من رحمة الله؛ وبهذا دلَّتْ الصيغتان علىٰ أنَّ الرحمة عند الله ثابتة من حيث استمرارها للمؤمن في الدارين ومؤقتة طارئة من حيث حرمان الكافر منها يوم لا ظل إلا ظله سبحانه.

ولربَّ سائلٍ يسألُ فيقول لِمَ جاء بالأعم ثم الأخص والقياس تقديم الأخص من الوصفين ثم الأعم؟ فلو قلت: (زيد نزيه وصادق)، لفهمت من قوله (نزيه) أنَّه صادق فأصبح هنا تكرار لا طائل من ورائه والأولىٰ أنْ يقال: (زيد صادق ونزيه)، وهو القياس.

نقولُ: إنَّ في تقديم الأعم من الصفات التي هي ﴿الرَّحْمٰنِ﴾ ثم إردافها بالأخص ﴿الرَّحِيمِ﴾ دلالة جليلة ومهمة تنصُّ علىٰ إخراج الكفرة من دائرة الرحمة في يوم القيامة وتكريم المؤمنين بها فحسب؛ لأنَّ لفظة ﴿الرَّحْمٰنِ﴾ كما أسلفنا تدل علىٰ تمام الصفة في الموصوف فتشمل الكفرة والمؤمنين، في حين أنَّ ذكر ﴿الرَّحِيمِ﴾ وقع فيها الفصل والتمييز للطرفين، وأنَّ الاعتراض علىٰ أنَّ التكرار يحدث من تقديم الأعم علىٰ الأخص إنما ينطبقُ علىٰ التراكيب المنفية لا المثبتة كقولك: (زيد ليس بنزيه ولا صادق)، فهنا يقع التكرار: لأنَّك حينما نفيت صفة الأعم التي هي النزاهة كنت باللزوم قد نفيت الصفة الأخص التي هي (الصدق) فكلُّ شخصٍ غير نزيه ليس بصادق بالضرورة؛ لأنَّ نفي الأعم يستلزم نفي الأخص؛ لذا كان الأولىٰ أنْ يُقالَ: (ما زيد بصادق ولا نزيه)[٤].

وتأسيساً عليه نقول: إنَّ البسملة تَتمثَّلُ فيها ماهية الإعجاز التي تتمثَّلُ في سائر آيات القرآن الكريم، وبهذا يثبتُ لدينا - يقيناً- أن البسملة جزءٌ من المتن القرآني هويةً كما أثبت ذلك الإمام العسكري عليه السلام في روايته ابتداءً، وأنَّ كلَّ مَنْ يحسب أنها ليست من المتن القرآني فإنَّ له حاجة إلىٰ إعادة النظر والتأمل فيما قال مطلقاً.

---

(١) السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص٨١، وينظر: السامرائي: التعبير القرآني، ص٣٩- ٤٠.

(٢) الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، الكليات، ص٤٦٨.

(٣) السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص٨١.

(٤) ينظر: سيروان، التحليل الدلالي لسورة المائدة، ص٥.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

المبحث الثاني:
الاختلاف التفسيري في تحديد هُوية هاروت وماروت

إذا كان بيان الدلالة التفسيرية رهناً بمدى فهم المفسر للنص ودلالاته فإنَّ هذا يقتضي إمكان وقوع المفسرين أنفسهم في نطاق الاختلاف والدخول إلى مساحة التباين؛ فالتفسير وإن كان قائماً على أساس منظومة قواعدية وضوابط أُسسية ينبغي اتباعها حتى توصِلَ العقل التفسيري إلى المراد الصحيح من الآية الكريمة، فإنّ العقل التفسيري قد يخرج عن جادة الصواب أحياناً في تحديد المراد المقصود من النص القرآني ما يوقعه في ميدان الابتعاد عن اقتناص المبتغى أحياناً أو التوهم فيه أحياناً أخر، وكان من جنس ذلك التوهم ما وقع به علماء التفسير عند تحديد هوية جنس هاروت وماروت، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[1]؛ إذ مال جمع من المفسرين إلى القول بأنّ ﴿**هاروت وماروت**﴾ ما هُم إلا ملكان، واستدلوا على أنهم من جنس الملائكة بقوله تعالى: ﴿**وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ**﴾؛ إذ حدّد النص القرآني نفسه جنسها بقوله: ﴿**وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ**﴾، وعليه فلا مناص من القول بأنهما ملكان لا غير، وإن تمام قصتهما -كما يراها المفسرون- هي «أنَّ الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام فعيروهم وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض خليفة واخترتهم فهم يعصونك، فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا. فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك، قال لهم الله تعالى: فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض. فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم... فركب الله فيهم الشهوة وأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنى وشرب»[2] فكان هاروت و ماروت قد «ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء؛ قال قتادة: فما مر عليهما شهر حتى افتتنا، قالوا جميعاً إنه اختصمت إليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء... فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت، ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبت

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) البغوي (ت٥١٦هـ)، معالم التنزيل المعروف بـ (تفسير البغوي)، ج١، ص١٢٦.

وقالت: لا إلا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم، وتقتلا النفس، وتشربا الخمر. فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهانا عنها. فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر، وفي نفسيهما من الميل إليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر (فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا، فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه... قال ابن أبي طالب رضي الله عنه والكلبي و السدي: إنها قالت لهما حين سألاها نفسها: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء. فقالا: باسم الله الأكبر. قالت: فما أنتم تدركاني حتى تعلمانيه. فقال أحدهما لصاحبه: علمها. فقال: إني أخاف الله رب العالمين. قال الآخر: فأين رحمة الله تعالى؟ فعلّماها ذلك فتكلمت فصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً، فذهب بعضهم إلى أنها الزهرة بعينها وأنكر الآخرون هذا... فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حلّ بهما (من الغضب) فقصدا إدريس النبي عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل وقالا له: إنا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا إلى ربك. ففعل ذلك إدريس عليه السلام فخيّرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما ببابل يعذبان»[1]، ولكن على الرغم من ذلك فإنهما كانا يعلمان السحر الذي يفرق بين المرء وزوجه[2]، وقيل: إن تعليمهم السحر للناس إنما كان من باب الابتلاء للناس[3]؛ ولهذا «قال الكلبي:... وأخذ عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يتقدما إليه ويقولا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر»[4]؛ وبهذا ننتهي إلى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله تعالى إلى الأرض ليختبرَهما، ولكنهما أخفقا في الاختبار فارتكبا المعاصي فعاقبهما الله تعالى على ذلك.

نقول: إن حقيقة الأمر في تحديد هوية هاروت وماروت هي بخلاف هذا التوجه التفسيري تماماً؛ إذ روي عن الإمام العسكري عليه السلام أنهما ليسا من الملائكة؛ فقد روي «عن أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبي الحسن علي ابن محمد بن سيار، أنَّهما قالا: قلنا للحسن أبي القائم عليهما السلام: إنّ قوماً عندنا يزعمون: أن هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدنيا، وأنهما افتتنا بالزهرة وأرادا الزنى

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص١٢٦.

(٢) ينظر: السيوطي(ت ٩١١ هـ): الدر المنثور، ج١، ص٢٣٦.

(٣) ينظر: ابن كثير (٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٥٢، والبغوي، معالم التنزيل، ج١، ص١٢٦.

(٤) الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١، ص٥٠١، وينظر: الصنعاني، تفسير القرآن، ج١، ص٥٣.

بها، وشربا الخمر، وقتلا النفس المحرمة، وأن الله يعذبهما ببابل، وأن السحرة منهما يتعلمون السحر، وأنَّ الله مسخ هذا الكوكب الذي هو (الزهرة)، فقال الإمام عليه السلام: معاذ الله من ذلك، إنَّ ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح، بألطاف الله فقال عز وجل فيهم: ﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ**﴾(١)، وقال: ﴿**وَلَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ**﴾(٢) - يعني: الملائكة- ﴿**لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾(٣)، وقال عز وجل في الملائكة أيضاً: ﴿**بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ* يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾(٤). ثم قال عليه السلام: لو كان كما يقولون كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاء على الأرض، وكانوا كالأنبياء في الدنيا، أو كالأئمة، فيكون من الأنبياء والأئمة عليهم السلام قتل النفس والزنى. ثم قال عليه السلام: أو لست تعلم أن الله عز وجل لم يخلِ الدنيا قط من نبي أو إمام من البشر؟ أوليس الله عز وجل يقول: ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ**﴾(٥) - يعني إلى الخلق - ﴿**إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى**﴾(٦) فأخبر أنه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة وحكاماً، وإنما أرسلوا إلى أنبياء الله»(٧).

عند التأمل في مقولة الإمام العسكري نجده ينفي إمكان أنْ يكونَ هاروت وماروت من الملائكة على وجه العموم، ويستدل على عدم إمكان أن يكونا ملكين بمنطق (عصمة الملائكة) المبنية على طبيعة صفاتهم المذكورة في النص القرآني؛ فالإمام قد استند إلى جملة من النصوص القرآنية التي توثق أنَّ صفات هاروت وماروت لا يمكن أن تتفق وصفاتِ الملائكة المذكورة في سياقات التعبير القرآني مطلقاً؛ إذ استدل بقوله تعالى ﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ**﴾؛ فإذا كان الملائكة لا يصدر منهم عصيان بلطف الله تعالى وفضله فأنى يمكن القول بأن هاروت وماروت من الملائكة في الوقت الذي قاربا فيه الزنى وشربا الخمر وقتلا النفس التي حرَّمَ الله قتلها وعلَّما الناسَ السحرَ الذي يفرقُ بين المرء وزوجه؛ إذ يقول تعالى ﴿**وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ**﴾، فهذا كله لايتفق وسمات الملائكة

(١) سورة التحريم: ٦.
(٢) سورة الأنبياء: ١٩- ٢٠.
(٣) سورة الأنبياء: ١٩- ٢٠.
(٤) سورة الأنبياء: ٢٦- ٢٨.
(٥) سورة يوسف: ١٠٩.
(٦) سورة يوسف: ١٠٩.
(٧) المجلسي: بحار الأنوار: ج٥٦، ص٣٢١- ٣٢٢، وينظر: الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، الاحتجاج، ج٢، ص٢٦٥- ٢٦٦، والإمام العسكري: مسند الإمام العسكري عليه السلام، ص٢٣٤- ٢٣٥.

مجلة تراث سامراء
العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

أ.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي

الذين لايعصون الله تعالى؛ وإذا ما نظرنا إلى الآية الكريمة فإننا سنجد أنه لا أمل البتة في إمكان القول إنَّ الملائكة يمكن أن يصدر منهم ذنب قط، ذلك بأنَّ الله تعالى افتتح النص بالنفي المطلق بـ (لا) في قوله ﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ**﴾ فانتفاء عصيانهم لله تعالى مطلق في كل وقت وزمان؛ ولا يتوقف الأمر عند حدود الزمن المطلق للعصيان؛ بل إن عدم العصيان يشمل عموم ما أمر الله تعالى الانتهاء عنه؛ ذلك بأنَّ (ما) الموصولة التي هي تمثل مفعول عدم العصيان في قوله تعالى ﴿**ما أَمَرَهُمْ**﴾ تحمل دلالة العموم الشمولي لكل ما أمر الله تعالى به؛ فالمعنى أنهم لايعصون الله تعالى في كل ما أمر الله تعالى به من أمر بطاعة أو نهي عن معصية في كل وقت وزمان.

بهذا نجد أنَّ نسبة هاروت وماروت إلى الملائكة - في الوقت الذي لا يعصي فيه الملائكةُ اللهَ تعالى مطلقاً في كل زمان وفي كل ما أمر به سبحانه- هو أمرٌ بعيدٌ عن القناعة مطلقاً، فكيف يكونون ملكين ويخرجان عن وصف الله تعالى للملائكة في النص القرآني، فإما أن يكون وصفه تعالى للملائكة في هذه الآية الكريمة غير صحيح المضمون، وإما أن يكون هاروت وماروت ليسا ملكين أصالةً؛ وحاشا لله تعالى من أن يداخل كلامه عدمُ الصحة أو يندَّ عن جادة الحق والحكمة أبداً، من هنا نتتهي إلى أنَّ هاروت وماروت ليسا من الملائكة لعدم انطباق صفة الملائكة المذكورة في الآية الكريمة عليهما.

ثم استدل الإمام العسكري(عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿**وَلَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾؛ فإذا كانت الملائكة لايستكبرون عن عبادة الله تعالى إذ «لا يتعاظمون ولا يأنفون عن عبادة الله سبحانه والتذلل له»[1] فكيف يجوز عقلًا أن يصدر منهم القبيح أو الذنب كما هي الحال مع هاروت وماروت، بل لا يتوقف الأمر لدى الملائكة على عدم أنفتهم من عبادة الله تعالى أو عدم استعظامهم لعبادته؛ بل هم لا يَسْتَحْسِرُونَ من عبادته أيضاً؛ لأن قوله تعالى: ﴿**وَلا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾ لا يراد بها كما يتبادر إلى الذهن ابتداءً أنهم لايتأسفون مطلقاً على كثرة ما يبذلون من طاعة له سبحانه؛ بل المبتغى من هذه العبارة هو لا يعيون ولايتعبون من عبادته والتقرب إليه والطاعة له أبداً[2]؛ فالفعل ﴿**يَسْتَحْسِرُونَ**﴾ «مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالإعياء والتعب»[3]، وقد «جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور تنبيهاً إلى أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون»[4]؛ لأن صيغة

(١) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٥٧٤.
(٢) ينظر: م.ن، ج٣، ص٥٧٤، والبغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٣١٣.
(٣) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٣١٣.
(٤) البيضاوي (ت١٢٨٦هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص٨٧.

الاستفعال الدالة على المبالغة في الحسور موافقة تماماً للتعبير عن ثقل عبادتهم له سبحانه، وعلى الرغم من كثرة عبادتهم وشدتها فهم لا يستحسرون[1].

ولا بد من التنبيه ههنا إلى أن صيغة الاستفعال ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ قد سيقت في هذا الموضع «لا لإفادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصله في الجملة، كما أن نفي الظلامية في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[2] لإفادة كثرة الظلم المفروض تعلّقه بالعبيد لا لإفادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت أصل الظلم في الجملة»[3]؛ فليس المراد من المبالغة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ هو نفي المبالغة في بيان التعب مع البقاء على أصل التعب، أي إنهم يتعبون ولكن تعبهم غير مبالغ فيه، إذ ليس المراد هذا أبداً، كما إنه ليس المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ هو نفي مبالغة الظلم من الله تعالى للعبيد مع البقاء على أصل الظلم منه تعالى لهم؛ أي ان الله تعالى يظلم العباد ولكن لا على سبيل المبالغة - حاشا لله تعالى من ذلك- فليس المبتغى نفي مبالغة الظلم مع بقاء أصل الظلم من حيث وقوعه على سبيل عدم المبالغة؛ بل المراد هو نفي الظلم مطلقاً سواء أكان على سبيل القلة أم المبالغة، وكذا الحال في قوله تعالى ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾، فالمبتغى هو نفي التعب أصالة عن الملائكة في عبادتهم لله تعالى قليله وكثيره؛ وإنما جاء نفي التعب على صيغة المبالغة في هذه الآية الكريمة لبيان شدة ما يبذلونه من طاقة وجهد في عبادته تعالى، وعلى الرغم من كثرة ما يبذلونه من جهد وطاقة في سبيله سبحانه فهم لا يتعبون أو يسأمون من عبادته أبداً مما يوحي صراحة بشدة طاعته وخضوعهم له سبحانه مطلقاً.

وما يسند دليل عدم تعبهم وشدة رغبتهم بعبادة الله تعالى والدأب في طاعته أيضاً هو قوله تعالى متمماً: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ فقوله ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ دليل على عدم تعبهم أو مللهم أو كللهم مطلقاً؛ فهم مستمرون في طاعته وتسبيحه ليل نهار، «وقيل: يصلون الليل والنهار»[4]، حتى غدا «مجرى التسبيح منهم كمجرى النفس منا لا يشغلنا عن النفس شيء فكذلك تسبيحهم دائم»[5]، فضلاً عن هذا فإن طاعتهم هذه وصلاتهم أو تسبيحهم الفعلي هذا إنما هو حاصل من صفاء نفس ورغبة حقيقية وصادقة في عبادة الله تعالى وليس الأمر مفروضاً عليهم بالإجبار؛ وسند ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾.

وعند النظر في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ تجد أن هنالك توافقاً في

(١) ينظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٦، ص٦٠.

(٢) سورة ق: ٢٩.

(٣) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٦، ص٦٠.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٥٧٥، وينظر: البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٣١٤.

(٥) الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٥٧٥، وينظر: البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٣١٤.

المضمون مع قوله سبحانه: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ﴾ فكلتا الآيتين تدل على أن الملائكة دائبون في طاعته سبحانه لاينفكون عن ذلك البتة؛ فقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾، يعني أنهم «ينزهونه في جميع الأوقات ويعظمونه ويمجدونه دائماً»(١)، أما قوله سبحانه: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ﴾ فهي تشير إلى طاعته الدائمة بالامتناع عن ارتكاب المعاصي، وعليه فإن الآيتين تدلان على الاستمرار في طاعة الله تعالى في كل الأوقات، ولكن إحداهما تدل على الطاعة بالامتناع عن معاصي الله تعالى واتباع أوامره، والأخرى تدل على الطاعة بكثرة العبادة لله تعالى دون توقف، فإذا كان الملائكة ممتنعين عن معصية الله دون حد أو وقت وكانوا عابدين لله تعالى في كل لحظة من الزمن؛ فإن هذا يدل بما لايقبل التردد على أن مقولة الإمام العسكري من أن هاروت وماروت لا يمكن أن يكونوا من الملائكة هي مقولة بيانية غاية في صحة المنطق وقمة في سلامة المضمون؛ لأنّ من كانت هذه حالهم لايمكن أن يصدر منهم خطأ أو تبدر منهم خطيئة أبداً.

بعدها استند الإمام إلى قوله في دفع توهم مَنْ توهَّمَ أن هاروت وماروت من الملائكة بقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ فقوله تعالى: ﴿مُكْرَمُونَ﴾ على صيغة اسم المفعول يدل على أن الله تعالى أكرمهم بقربهم منه فهم «مكرمون بكرامته لهم مقربون عنده»(٢) مُشَرَّفون به(٣)، أما قوله سبحانه: ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ فيدل على أنهم قد وصلوا الغاية القصوى في عبادة الله تعالى وتبجيله وتشريفه إلى الحد الذي لا يتكلمون عنده البتة حتى يكلمهم سبحانه؛ وهذا يدل على غاية الطاعة من جهة، وعلى عظيم مكانة الله تعالى في نفوسهم من جهة أخرى؛ يقول الشوكاني: «أي لا يقولون شيئاً حتى يقوله أو يأمرهم به... وفي هذا دليل على كمال طاعتهم وانقيادهم»(٤)؛ وإذا كانوا لا يسبقون الله تعالى في القول فإنه لابد من أن يتفرَّعَ على هذا أمرٌ آخر وهو قوله تعالى ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ «أي: كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضاً مبني على أمره، لا يعملون عملاً لم يؤمروا به»(٥).

والأظهر أن قوله تعالى: ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ تمثل تعليلاً لداعي وصفهم بـ ﴿مُكْرَمُونَ﴾ في قوله: ﴿بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾؛ فهم مكرمون بداعي أنهم ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ﴾، فكرامتُهم مبنيةٌ على شدة خضوعهم لله تعالى وتعظيمه في

(١) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٦، ص٦٠.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٥٧٩.

(٣) م.ن، ج٣، ص٥٧٩.

(٤) ينظر: النَّسفي (ت ٧١٠هـ)، تفسير النسفي، ج٣، ص٧٨.

(٥) م.ن، ج٣، ص٧٨.

نفوسهم وكثرة طاعتهم له سبحانه؛ وهذا كله يُبْعِدُ أن يكون هاروت وماروت من جنس الملائكة المكرمين.

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾، فقوله سبحانه: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ يشير إلى عظم طاعة الملائكة لله تعالى إلى الحد الذي امتنعوا فيه عن المعصية مطلقاً؛ ذلك بأنَّ خشيتهم منه سبحانه هي التي تمنعهم من ارتكاب المعصية بحقه أبداً، فهم قد وصلوا إلى مرحلة من الطاعة والخشية منه سبحانه إلى الحد الذي لايمكنهم معها اقتراف الذنب أو مخالطة السيئة.

ويبدو أن الناظر أول الأمر إلى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ يجد أن لفظة ﴿خَشْيَتِهِ﴾ تشير إلى الله تعالى، فكأنَّ المعنى (وهم من خوف الله تعالى مشفقون)، والأحرى أن يقال – على سبيل التجوز – (وهم من خوفهم من الله تعالى مشفقون)، غير أنَّ المتأمِّل في الآية يجد أنَّ القرينة العقلية تقف عائقاً أمام القول بأنَّ المراد (وهم من خوف الله تعالى مشفقون)؛ لأن الحديث ابتداءً على الملائكة وصفاتهم وليس عن الله تعالى حتى يمكن أنْ يُقالَ بأنَّ الله تعالى خائفٌ وأنَّ الملائكة مشفقون عليه لشدة خوفه؛ فليس ثمة داعٍ مضمونيٌّ في الآية الكريمة يدعو إلى انتقال الحديث عن الله تعالى وخوفه في الوقت الذي بُنِيَتْ فيه الآية أصالةً على ذكر الملائكة وصفاته حصراً.

أما الأمر الآخر فيكمن في أنَّ القول بأن المراد هو (وهم من خوف الله تعالى مشفقون) يدعو إلى القول بأن الملائكة أعظم شأناً من الله تعالى وأعلى سلطةً ومكاناً منه سبحانه، إلى الحد الذي كان فيه الله خائفاً والملائكة مشفقين عليه حزينين من شدة خوفه يخشون أن يحدثَ له أمرٌ – وحاشا لله تعالى من ذلك وتعالى علواً كبيراً– فالناظر للعبارة يفهم منها هذا المضمون، أي إن الملائكة هم أعلى مكانة من الله تعالى، وإنهم هُم الـمُراعونَ لله سبحانه، وإنَّ الله قد أصابه الخوف والملائكة الـمُهَيِّمِنون عليه رعايةً هم مشفقون عليه لخوفه هذا.

نقول: إن هذا التصور المضموني غير مقبول عقلاً ولا منطقاً، وبناءً على امتناع المنطق من قبول هذا المضمون ووقوف العقل حاجزاً دون تقبل مثل هذه الدلالة نقول بأن المراد من لفظة ﴿خَشْيَتِهِ﴾ من قوله سبحانه ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ليس خوف الله تعالى من شيء – حاشا لله تعالى من ذلك– بل المبتغى هو إضافة المصدر (الخشية) إلى المفعول به – أي الـمَخشِيِّ منه– لا إلى فاعل الخشية نفسه؛ وقد لحظ هذا المنحى الشوكاني؛ إذ يقول: «﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾؛ أي من خشيتهم منه، فالمصدر مضاف إلى المفعول والخشية الخوف من التعظيم والإشفاق الخوف من التوقع والحذر: أي لا يأمنون مكر الله»[1]؛ لهذا فهم مشفقون منه

(١) الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص٥٧٩، وينظر: ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير،

مجلة تراث سامراء
العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

تعالى، والذي يعزز أن المراد من عبارة ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ هو خشيتهم لله سبحانه لا خشيته سبحانه أمران:

الأول: إن الله لا يخشى شيئاً قط[١]، ودليل ذلك أن الخشية في سياقات النص القرآني جميعها جاءت مسندة إلى المخلوقين دون الخالق سبحانه؛ إذ يقول سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ**﴾[٢]، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللهَ وَكَفى بِاللهِ حَسِيباً**﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿**إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾[٤]؛ يزاد على هذا أنّ الآية التي وردت بعد قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ هو قوله سبحانه: ﴿**وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾[٥]، فالكلام هنا على الملائكة فمَنْ يدَّعي أنَّه إلهٌ يجزيه الله سبحانه جهنم؛ فقوله تعالى: ﴿**نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾ لدليل صريح على عظم سلطته سبحانه مطلقاً، وأنه لايخشى من شيء البتة؛ بل إنه يعاقب حتى الملائكة إن استدعت الحال ذلك؛ وبهذا لايمكن القول بأن المراد من قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ هو (وهم من خوف الله تعالى مشفقون)؛ لأن هذا المعنى لا يتناسب مع مضمون الايات السابقة على قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ من جهة، ولا يتفق عقلاً مع مضمون الآية اللاحقة عليها من جهة، وهي قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾.

الآخر: إن بداية الآيات الكريمات السابقات لقوله تعالى: ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ تدل بما لايقبل الشك على أن المراد هو خشية الملائكة من الله تعالى لا غير؛ لأنَّ وصف الملائكة بالـمُكرَمين لقربهم من الله تعالى ووصفهم بأنهم لا يسبقونه بالقول وأنهم مطيعون لكل ما يأمرُهم به سبحانه ليوحي صراحةً بأنَّ المراد من قوله تعالى ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ هو أن الملائكة مشفقون من خشيتهم لله تعالى أي خائفون لشدة حذرهم من الله تعالى، وقد قدم سبحانه المتعلق ﴿**مِنْ خَشْيَتِهِ**﴾ على الخبر ﴿**مُشْفِقُونَ**﴾ لإفادة معنى التخصيص؛ أي إنهم لايخشون أحداً سوى الله تعالى، وهذا يشير إلى مدى تقواهم اتجاه الله سبحانه لا محالة.

فإذا كانت الملائكة بهذه الدرجة من

ج٥، ص٣٤٧.

(١) وسند ذلك قوله تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها (١٤) وَلا يَخافُ عُقْباها﴾ سورة الشمس: ١٤- ١٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٤٩.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٩.

(٤) سورة فاطر: ٢٨.

(٥) سورة الأنبياء: ٢٩.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

التوصيف في التقوى لله تعالى طاعةً وخشيةً وإشفاقاً فإنَّ هذا يدعو قطعاً إلى القول بأنَّ مَنْ يرتكب المآثم ويجترئ على الله تعالى بالتعدِّي على حدوده كشرب الخمر وقتل النفس بغير الحق لحريٌّ عقلاً بأنْ لا يكون من الملائكة المتقين قط.

ثم استدل الإمام العسكري بعد ذلك بمنطق عقلي وهو أن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز أن الـمُرسَلين إلى الأرض هُم من البشر لا من الملائكة؛ وإذا كانت الحال هذه فكيف يمكن القول بأن هاروت وماروت هم من الملائكة وأنَّهم مُرسلون إلى أهل الأرض؛ إذ يقول الإمام «لو كان كما يقولون كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاء على الأرض، وكانوا كالأنبياء في الدنيا، أو كالأئمة فيكون من الأنبياء والأئمة عليهم السلام قتل النفس والزنى. ثم قال عليه السلام: أو لست تعلم أن الله عز وجل لم يخلُ الدنيا قط من نبي أو إمام من البشر؟ أوليس الله عز وجل يقول: ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ**﴾[1] ـ يعني إلى الخلق ـ ﴿**إِلَّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى**﴾[2] فأخبر أنه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة وحكاماً، وإنما أرسلوا إلى أنبياء الله).

بهذا نجد أنه لو كان بالإمكان إرسال الملائكة إلى أهل الأرض بوصفهم خلفاء لله تعالى لأمكن أن يكون هاروت وماروت – إن كانا ملكين فعلاً– مُرسلَين إلى الأرض؛ وبما أنه لا يجوز إرسال الملائكة إلى أهل الأرض دل ذلك على أنهما ليسا ملكين، وبهذا ينتفي الشيء بانتفاء الموضوع؛ أي لايكونان ملكين؛ لأنهما لو كانا كذلك لأمكن أن يكونا رسولين إلى أهل الأرض؛ وبما انه لايمكن أن يرسل الله تعالى إلى الأرض ملائكة بوصفهم خلفاءه مطلقاً ثبت من هنا أنهما ليسا من الملائكة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى**﴾ ويمكن أن يضم له قوله سبحانه أيضاً: ﴿**وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلاَّ أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً * قُلْ لَوْ كانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً * قُلْ كَفى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً**﴾[3] فلو كان ثمة ملائكة في الأرض لأرسل عليهم سبحانه ملائكة رُسُلاً، ولكن لما لم يكن ثمة ملائكة دلَّ ذلك على أنه قد أرسل إلى الناس رسولاً من البشر لا غير، ولا يكون غير ذلك مطلقاً؛ يقول سبحانه: ﴿**وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْواقِ وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ وَكانَ رَبُّكَ بَصِيراً**﴾[4]؛ من هنا تثبت مقولة الإمام العسكري من أن هاروت وماروت ليسا من الملائكة؛ لأنهما إنْ كانا كذلك

(١) سورة يوسف: ١٠٩.

(٢) سورة يوسف: ١٠٩.

(٣) سورة الإسراء: ٩٤– ٩٦.

(٤) سورة الفرقان: ٢٠.

لأمكن أن يكونا رُسولينِ إلى أهل الأرض أبداً، وهذا الأمرُ محالُ التحقق؛ لأنَّه مُنتفٍ بدلالة الآيات القرآنية إجماعاً[1] لأنه (لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة وحكاماً، وإنما أرسلوا إلى أنبياء الله) فمهمتهم هي إبلاغية - للنبي أو الرسول الذي ينزلهم الله تعالى إليه- لا رسالية قط.

بهذا ننتهي إلى أن هاروت وماروت ليسا ملكين وليسا رسولين، بل هما - كما قرر ابن عباس - «رجلان ساحران كانا ببابل»[2]؛ ذلك لأن «الملائكة لا يعلمون السحر»[3]، فالمراد من لفظتي (هاروت وماروت) في الآية الكريمة ليس تعريفاً للفظة (الملكين)؛ أي إن لفظتي (هاروت وماروت) ليسا بدلاً من لفظة (الملكين)؛ حتى يمكن أن يقال بأن (هاروت وماروت) ملكان فعلاً؛ وأن داعي عدم القول بأنهما بدلٌ من (ملكين) هو أن «قوله ﴿**ببابل هاروت وماروت**﴾ من المؤخر الذي معناه المقدم؛ فإن قال لنا قائل: كيف يكون وجه تقديم ذلك؟ قيل: وجه تقديمه أن يقال: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان، وما أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت)؛ فيكون جبريل وميكائيل عليهما السلام معنيين بالملكين؛ لأن سحرة اليهود فيما ذكرت كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبهم الله بذلك وأخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وآله أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر وبرأ سليمان عليه السلام مما نحلوه من السحر، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأن الشياطين تعلّم الناس ذلك ببابل، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما (هاروت)، واسم الآخر (ماروت) فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس ورداً عليهم»[4]، وبهذا تكون عبارة «﴿**هاروت وماروت**﴾ بدلاً من الشياطين، وأن المراد بالشياطين شيطانان وضَعا السحر للناس هما هاروت وماروت»[5]، وهذا من باب «إطلاق الجمع على المثنى كقوله

(١) ومن جنس الآيات التي يمكن أن نستدل بها على انتفاء إمكانية أن يكون الملائكة رُسُلاً هو قوله تعالى: ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ سورة الأنعام: ١٣٠، فقوله تعالى (منكم) دليل قاطع على الرسل ليسوا من الملائكة ولا يمكن أن يكونوا قط، ولابد هنا من أن نذكر أن لفظة (منكم) وردت ههنا على سبيل التغليب، وإلا فإن المرسلين كلهم بشر من الإنس حصراً، ينظر: القرطبي (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ (تفسير القرطبي)، ج١١، ص١٣، الجنابي، مباحث قرآنية، ص١٥٦.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص١٢٦.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص١٢٦.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٥١، وينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ج٢، ص٤١.

(٥) ابن عاشور (ت١٩٧٣م): التحرير والتنوير، ج١، ص٦٤٠.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

(قلوبكما)[١]»[٢]، فـ «التقدير: وما كفر سليمان وما أُنزِلَ على الملكين؛ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت؛ فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله: ﴿**ولكن الشياطين كفروا**﴾، وهذا أولى ما حملت عليه الآية»[٣].

بهذا ننتهي إلى أن مقولة الإمام العسكري بأن (هاروت وماروت) ليسا من الملائكة هو الأحق بالاتباع على وجه الإطلاق لأنه التفسير الأمثل لتحديد هُوية هاروت وماروت في الآية الكريمة؛ لأنَّ الملائكة لايصدر منهم ما صدر من هاروت وماروت قط.

المبحث الثالث:

الاختلاف التفسيري في تحديد هُوية إبليس

لقد دب الخلاف بين علماء التفسير في تحديد جنس إبليس؛ إذ ذهب جمع إلى أن إبليس إنما هو من الملائكة[٤]؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ**﴾[٥]، فلما استثنى الله تعالى إبليس من الملائكة دل ذلك على أنه من جنسهم لا محالة؛ يقول الشوكاني: «وقوله: ﴿**إلا إبليس**﴾ استثناء متصل؛ لأنه كان من الملائكة على ما قاله الجمهور»[٦]، ويبدو أن هذا القول هو قول أكثر المفسرين على وجه العموم[٧].

نقول إن هذا الاتجاه في تحديد هوية إبليس

---

(١) لأنَّ المراد من لفظة (قلوبكما) هو قلباكما لأن مدار الحديث في الآية الكريمة عن زوجي الرسول الأكرم؛ إذ يقول تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ﴾، سورة التحريم:٤، ولكن وردت لفظة (قلوبكما) من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء، وكذا الحال في الآية موضع البحث؛ إذ وردت لفظة (الشياطين) على صيغة الجمع والمراد منها اثنان هما (هاروت وماروت)، وبهذا جاز أن يكون (هاروت ماروت) بدلاً من (الشياطين) في الآية الكريمة؛ لأن إطلاق الجمع على المثنى أو إطلاق الكل وإرادة الجزء سائغ في الكلام العربي لا إشكال فيه، بل هو جزء من صياغات التعبير وأساليب القول لديهم عموماً، وقال أبو السعود: إن هاروت وماروت «قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لأصالتهما وكون باقي الشياطين أتباعاً لهما»، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج١، ص١٣٩.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٦٤٠، وينظر: الدمشقي (ت٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، ج٢، ص٣٣٨.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص٤١، وينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص١٨٦، والدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ج٢، ص٣٣٨.

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٣٣٢.

(٥) سورة البقرة: ٣٤.

(٦) الشوكاني، فتح القدير، ج١، ص١٠٥، وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٣، ص٢١٥- ٢١٦، والنسفي، مدارك التنزيل، ج١، ص٣٧، ابن الجوزي، زاد المسير، ج١، ص٦٥.

(٧) البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٨١، وينظر: الطوسي، التبيان، ج١، ص١٥٣- ١٥٣، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٣، ص٢١٥- ٢١٦، والنسفي، مدارك التنزيل، ج١، ص٣٧، ابن الجوزي، زاد المسير، ج١، ص٦٥.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

محل نظر، وإنْ كان هو رأي الجمهور، وقد أطبقَ عليه جمعٌ من علماء التفسير وهُم في صدد تفسيرهم لآية سجود الملائكة ورفض إبليس، ذلك بأنَّ ثمة روايةً عن الإمام الحسن العسكري توثِّقُ أن الهوية الانتمائية لإبليس لا تعود إلى الملائكة -كما حَسبَ هذا جمعٌ كبيرٌ من المفسرين-؛ بل تعود إلى الجن؛ إذ يروى عنه عليه السلام بعد أنْ سُئِلَ عن إبليس هل كان من الملائكة أنه «قال: لا؛ بل كان من الجن، أما تسمعان الله تعالى يقول: ﴿**وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إبليس كانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾[١] فأخبر أنه كان من الجن، وهو الذي قال: ﴿**وَالْجانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ**﴾[٢]»[٣].

فعند النظر في مقولة الإمام نجد أنه استدل على أنَّ إبليس ليس من الجن بمنطق القرآن الكريم نفسه؛ إذ استندَ تعويلاً على قوله سبحانه: ﴿**وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس كانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾؛ فقوله تعالى مُستثنياً: ﴿**إِلاَّ إبليس كانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾ يدل دلالة صريحة وقاطعة على أنَّ الاستثناء في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ**﴾ إنما هو استثناء منقطع ليس من الجنس[٤]؛ أي إنَّ استثناء إبليس من الملائكة هو استثناء من غير جنس الملائكة؛ لأن إبليس كان من الجن وليس من الملائكة، فـ (من) في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا إبليس كانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾ تدل على الجنس؛ إي إنَّ إبليس من جنس الجن لا غير، ولما كان الجن مخلوقين من النار بناءً على قوله تعالى: ﴿**وَالْجانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ**﴾، وأنَّ الملائكة مخلوقون من النور، ثبت من هنا أنَّ إبليس ليس من الملائكة مطلقاً.

بهذا ننتهي إلى أنَّ مقولة الإمام هي الأولى بالاتباع في تحديد جنس إبليس، فهويته الانتمائية تابعة إلى الجن وليس إلى الملائكة.

ويمكن أن نستدل ههنا أيضاً بما استدل به الإمام العسكري نفسه عليه السلام في تحديده هُوية هاروت وماروت وإخراجهما من جنس الملائكة بداعي أنَّ الملائكة لا يصدر منهم الذنب، فكذا هي الحال هنا، فما قيل هناك يمكن أنْ يقالَ ههنا؛ إذ لما كان الملائكة لا يصدر منهم الذنب فإنه من المحال أنْ يكونَ إبليسُ من الملائكة؛ لأنَّ الله تعالى يقول في الملائكة: ﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ**﴾[٥]، ويقول أيضاً: ﴿**وَلَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا**

(١) سورة الكهف: ٥٠.

(٢) سورة الحجر:٢٧.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٢٦، ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٦، ص٣٢٢، والإمام العسكري، مسند الإمام العسكري، ص٢٣٥.

(٤) ينظر: ابن جني (ت٣٩٢هـ)، اللمع في العربية، ص٦٧، و ابن هشام (ت ٧٦١هـ): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص٣٤٤.

(٥) سورة التحريم: ٦.

يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾[1]، ويقول في موضع آخر: ﴿بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ* يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[2]، فإذا كانت هذه هي الصفات التي حددها سبحانه للملائكة فإنه من العي إذا لم يكن من الوهن الفكري أنْ يُقالَ بأن إبليس كان من جنس الملائكة على وجه الفعلية.

ويبدو أنَّ للطباطبائي توجيهاً آخر لمسألة استثناء إبليس من الملائكة في قوله تعالى؛ إذ يرى بأن مرد الأمر يرجع إلى أنَّ الله تعالى حينما أمرَ الملائكةَ بالسجود كان إبليس موجوداً معهم في المقام نفسه الذي كانوا فيه، فلما كان المقام الموجودون فيه واحداً والموضع الذي توجَّه فيه الخطاب إليهم موحَّداً جازَ من هنا استثناء إبليس من مجموع الملائكة؛ إذ يقول الطباطبائي ما نصُّهُ: «والذي يستفاد من ظاهر كلامه تعالى أن إبليس كان مع الملائكة من غير تميز له منهم، والمقام الذي كان يجمعهم جميعاً كان هو مقام القدس... وأن الأمر بالسجود إنما كان متوجهاً إلى ذلك المقام، أعني: إلى المقيمين بذلك المقام من جهة مقامهم... وعلى هذا لم يكن بينه وبين الملائكة فرق قبل ذلك؟ وعند ذلك تميز الفريقان، وبقي الملائكة على ما يقتضيه مقامهم ومنزلتهم التي حلوا فيها، وهو الخضوع العبودي والامتثال... وقد بقوا على ذلك وخرج إبليس من المنزلة التي كان يشاركهم فيها كما يشير إليه قوله: ﴿كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[3]... فتميز منهم فأخذ حياة لا حقيقة لها إلا الخروج من الكرامة الإلهية وطاعة العبودية»[4].

نقول: إننا إذا ما سلّمنا بصحة فرضية الطباطبائي في هذا الموضع، فإن توجيهه هذا لا يقدح بالقول في أنَّ إبليس ليس من جنس الملائكة؛ لأنَّ الله تعالى استثنى إبليس من مجموع الملائكة بحكم وحدة المكان الذي كانوا فيه جميعاً لحظة إصدار الأمر لهم بالسجود؛ فلما لم يسجد إبليس مع الملائكة في ذاك المقام الموحَّد استثناه الله تعالى من مجموع مَنْ كان في ذلك المقام؛ وعليه فإن إبليس -على ما قاله الطباطبائي- لا يعد من جنس الملائكة مُطلقاً.

من هنا نخلص إلى أنَّ ما أدلى به الإمام العسكري(عليه السلام) ههنا هو البيان الأمثل لتحديد هوية إبليس على وجه الإطلاق؛ وذلك لوثاقة الدليل وقوة السند ورجاحة الحجة.

(1) سورة الأنبياء: ١٩- ٢٠.

(2) سورة الأنبياء: ٢٦- ٢٨.

(3) سورة الكهف: ٥٠.

(4) الطباطبائي (ت١٤٠٢ هـ): الميزان، ج٨، ص٢٣.

الخاتمة:

من التأمل وإعادة النظر في مرويات الإمام العسكري عليه السلام الموظَّفة لحل الإشكال التفسيري أو الاختلاف التفسيري في تحديد الهُوية؛ توصل الباحث إلى جملة من الثمرات التي يمكن إيجازها على النحو التالي:

وجد الباحث أن الإمام العسكري كان غالباً ما يوظف منهج تفسير النص بأخيه من أجل استنطاق الهُوية الدلالية المرادة للموضع الـمُختَلَف فيه تفسيرياً؛ فالأمر جلي لدى الإمام في مرويته عن تحديد هُوية إبليس من جهة، وتحديد هُوية هاروت وماروت من جهة أخرى؛ إذ عوَّلَ الإمام في تشخيص هُوية كل منهم على الاستناد إلى نص قرآني آخر يثبت المراد من النص الأول موضع الخلاف أو الاختلاف؛ وعليه نقول: إنَّ تعويل الإمام على منهج بيان النص بأخيه إنما هو نابع من قناعة الإمام نفسه بأن هذا المنهج في البيان القرآني هو المنهج الأولى بالاتباع على وجه العموم؛ لأن النتاج الدلالي الـمُستَخرَج به يُعَدُّ الأرقى والأنقى على وجه الإطلاق؛ فالمتكلم هو الله تعالى والمفسر لكلامه هو سبحانه، ولا أعرف بمرادات الله سبحانه لكلامه منه تعالى قط.

تأسيساً على النتيجة الأولى يمكن القول بأنَّ الإمام العسكري عليه السلام خاصة والأئمة عليهم السلام عامة لم يكن ليصدر منهم نصٌّ مقاليٌّ أو رواية كلامية إلا ولها مرتكز قرآني بحت ومرجع إلهي محض؛ لأنَّ الإمام لا ينطق عفواً أو يصدر منه الكلام على سبيل الموافقة، بل يحسب لكل كلام حسابه القرآني ويجعل لكل مضمون لديه مدلولاً قرآنياً حتى وإن لم يصرح به علناً في كلامه، وبهذا حق أنْ يكونَ كل كلام للأئمة أو فعل أو تقرير منهم سنة واجبة الاتباع؛ لأنَّها ممتدة عن سنة جدهم الأكرم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى**﴾(١)، وعليه فهم لا ينطقون عن الهوى مطلقاً.

١. اتضح لدى الباحث أن الإمام لم يعوِّل على نص قرآني واحد في إثبات هوية دلالية تشخيصية معينة في حال وجد أكثر من نص قرآني يسهم في بيان تلك الهُوية؛ وأدل ما يدل على ذلك مرويته عليه السلام التي حدَّدَ بها هُوية هاروت وماروت؛ إذ استند الإمام إلى أكثر من ثلاثة نصوص قرآنية لإيضاح المراد تحديداً، وهذا يدل على سعة معرفة الإمام بحنايا القرآن وارتباطات نصوصه موضوعياً من جهة، ويدل من جهة أخرى على أنَّ التفسير الموضوعي ليس وليد العصر الحديث كما حَسِبَ ذلك جملةٌ من الباحثين(٢)؛ لأنَّ جمع الإمام لمجموعة من النصوص القرآنية التي ترتبطُ بموضوع معين لحل مُشكل فكري تفسيري يُعَدُّ وجهاً أو نمطاً من أنماط التفسير الموضوعي لا محالة؛ من هنا ننتهي إلى القول بأن

---

(١) سورة النجم: ٣-٤.

(٢) ينظر: الفرماوي، البداية في التفسير الموضوعي، ص٥٢.

أئمة أهل البيت عليهم السلام قد مارسوا التفسير الموضوعي قبل أن يرتقي الفكر التفسيري إليه - تنظيراً وتطبيقاً- في وقتنا الحاضر؛ وخير دليل على ذلك هي مرويات الإمام العسكري عليه السلام المؤسَّسة على روابط نصية قرآنية مرتكزة على محور موضوعي واحد جامع لها جميعاً.

٢. وجد الباحث أنّ الذين وقعوا في ميدان الاختلافات التفسيرية في تحديد هُوية موضوع معين لم يكونوا ينظرون إلى تحديد هوية ذلك الموضوع من منطق قرآني؛ أو من منطق روائي - كما فعل الإمام العسكري- بل كانوا يقتفون أثر من سبقهم القول تفسيرياً في تحديد هُوية الموضوع، ولو كلَّفوا أنفسهم عناء النظر في طيات النصوص القرآنية المرتبطة بالموضوع (الذي هو مدار البيان الدلالي)، ولو أنهم نظروا إلى مرويات الرسول الأكرم والأئمة عليهم السلام المتعلقة بذلك الموضوع (الذي هو حيز الاعتناء المضموني)؛ لأدركوا أن ما ساروا عليه من نهج اتباعي غير سديد مطلقاً وأن ما وصلوا إليه من نتاج مضموني غير دقيق البتة.

وعليه يتأسس لنا القول بأن مرويات الإمام العسكري خاصة والأئمة عليهم السلام عامة - بما فيها من روعة تشخيصية مُثلى ونتاج دلالي سديد- تمثل دعوة عقلية ملحة ـ إذا لم تكن دعوة عقائدية واجبة ـ لعلماء التفسير بأنْ يتأملوا فيها ويستنطقوا دليلها من أجل فهم النصوص القرآنية عامة وتحديد هُوية الموضوع موضع الاختلاف خاصة؛ لأنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن، وعليه فإنَّ مروياتهم ممثلةٌ لمراد النص القرآني مضموناً وكياناً، وإذا كانت الحال هذه، فإنَّه يلزم من هذا أنْ لا يصدر عن الإمام من كلام (رواية) أو فعل (أداء تطبيقي) أو تقرير (إمارة على صحة فعل إنسان ما) إلا أنْ يكون ذلك الصادر مؤسساً على منطق النص القرآني مُطلقاً؛ ومن هنا فلا مناص من الرجوع إلى مرويات أهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّ مروياتهم تلك مرتكزة على القرآن الكريم نفسه، وما كان مرتكزاً على القرآن استدلالاً وأحقيةً لا يقدح به البتة، أو يطعن فيه مطلقاً، أو يُجرى عليه الشك أبداً.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤ هـ.

٣. ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، اللمع في العربية، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٢م.

٤. ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م.

٦. ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١هـ)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق عبدالغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٤م.

٧. الإمام العسكري عليه السلام، مسند الإمام العسكري عليه السلام، تحقيق وتجميع الشيخ عزيز الله العطاردي الخبوشاني، دار الصفوة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

٨. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، (ت٥١٦هـ)، معالم التنزيل المعروف بـ (تفسير البغوي)، د.مط.د.ت.

٩. البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت١٢٨٦هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مطبعة دار الفكر، بيروت، د.ت.

١٠. الجنابي، سيروان عبد الزهرة، التحليل الدلالي لسورة المائدة، مجموعة محاضرات ألقاها الدكتور سيروان الجنابي على طلبة المرحلة الرابعة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٧م.

١١. الجنابي، سيروان عبد الزهرة، مباحث قرآنية ـ قراءة بمنطق تحليل النص، مطبعة دار الأمير عليه السلام، النجف الأشرف، ٢٠١٥م.

١٢. الجوزية، ابن القيم، محمد ابن أبي بكر أيوب، بدائع الفوائد، تحقيق هشام عبد العزيز وعادل عبد الحميد العدوي، مطبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٦م.

١٣. الدمشقي: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

١٤. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل، صححه وضبطه عبد الرزاق المهدي، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

١٥. السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، د.ت.

١٦. السامرائي، فاضل صالح، معاني

الأبنية في العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، بغداد، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

١٨. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٦٤م.

١٩. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه (ت٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مطبعة مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ.

٢٠. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تفسير القرآن، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٢١. الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت ١٤٠٢ هـ)، الميزان، مطبعة جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤١٧هـ.

٢٢. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحققين والاختصاصيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

٢٣. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٤٨هـ)، الاحتجاج، تحقيق وتعليق، السيد محمد باقر الخرسان، مطبعة دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

٢٤. الطبرسي، حسين النوري (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت،ط١، ١٩٨٧م.

٢٥. الطبري، محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٦. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة قم، ط١، ١٣٧٩ هـ.

٢٧. العاملي، الحر (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المطبعة، مهر ـ قم، إيران، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.

٢٨. العسكري، أبو هلال (ت٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٩. الفرماوي، عبد الحي، البداية في التفسير الموضوعي، ذ.م. ط، د.ت.

٣٠. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ(تفسير القرطبي)، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م.

٣١. الكاشاني، المولى محسن (ت١٠٩١هـ)، الصافي في تفسير كلام الله، صححه وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، المطبعة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.

٣٢. المجلسي (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

٣٣. النَّسفي، أبو حفص نجم الدين محمد (ت ٧١٠هـ)، تفسير النسفي، تحقيق الدكتور عزيز الله جويني، منشورات سروس، طهران، ط٣، ١٤٠٨ هـ.

٣٤. النجادي، صادق فوزي، شعبان، عدنان كاظم، أبحاث في فكر أهل البيت عليهم السلام، مطبعة دار الأمير عليه السلام، النجف الأشرف، ٢٠١٥م.

٣٥. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، والمشهور بـ(تفسير أبي السعود)، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٣٦. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة دار الجيل، بيروت، ط١، د.ت.

٣٧. مغنية، محمد جواد (ت١٤٠٠هـ)، الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨١م.